تجربةٌ غير مكتملة في خدمة النُّصوص التُّراثيّة
فهرسةً ودراسةً وتحقيقًا

*المهدي عيد الرواضية**

ملخص

في ظل تعالي الأصوات الداعية للاهتمام بالتراث العربي والإسلامي المخطوط، باعتباره كنزاً معرفياً للأمة، وتراثاً إنسانياً جامعاً للتجارب والخبرات البشرية على امتداد العصور وتطاول الأزمان، فإن استعراض جهود المحققين والمعتنين بالتراث، واستلهام العبر والخبرات من تجربتهم ومسيرتهم، تُساهم في تحفيز الباحثين على التوجه نحو التراث المخطوط، وتشجيعهم على بذل الجهود لخدمته والعناية به: دراسة وتحقيقاً وفهرسة.

وتقدّم هذه الورقة رصداً للجهود التي بذلها أحد المهتمين بالتراث العربي والإسلامي المخطوط، ممن عمل لمدة طويلة في فهرسة المخطوطات العربية والإسلامية، وحقق مجموعة من المصادر التاريخية والجغرافية التي لم يسبق أن نُشرت من قبل، وأعدَّ مجموعة من الدراسات المتصلة بالتراث العربي والإسلامي. وبيان الصعوبات التي اعترضت مسيرته وعاقَت سبيله.

الكلمات الدالة: التراث العربي والإسلامي، المخطوطات، تحقيق المخطوطات.

عَتَبَةٌ أُولى:

تقتضي هذه الورقة، التزامًا بموضوعها وعنوانها، الحديث عن جوانب شخصيَّة وملامح ذاتيّة لم تبلغ من ناحية النضوج مرتبة تجعلها حقيقة بالتقييد والكتابة، فمساهمة صاحبها قاصرة عن منزلة مَن تقدّمه ممَّن تعاطى التحقيق وخدمة التُّراث، وقد وقع الانصياع . بعد تردُّد وإجالة نظر . استجابةً لرغبة الأستاذ العلّامة محمّد عدنان البخيت.

ودفعًا لتطرُّق العاطفة والأهواء، ورغبةً في خمول الذكر، فسوف أعالجُ موضوع الورقة وأتناول محاورها بضمير الغائب، بما يُتيح حرّيّة النقد والإشارة إلى مواطن الضعف، والتخلُّص من ضمير "الأنا".

البداياتُ الأوَّليّة:

تعاوَرَت جُملةٌ من الأسباب الدافعة له نحو التُّراث بكافة أنواعه، فالبيئةُ التي وُلد فيها وعاش فيها نشأته الأولى كانت منطقة أثريّة وتُراثيّة كُبرى، شاهدة على تاريخ أُمَم سالفة وحضارة موغلة في القدم؛ فمولده في قريةٍ من قُرى جنوب الأردن، تقع في لحف جبال الشراة وتطلُّ على جبال البترا، حاضرة الأنباط وعاصمة دولتهم؛ "والإنسانُ ابن عوائده ومألوفه"[1].

---

* مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث: 2019/5/27، تاريخ قبول النشر: 2019/10/7.

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد (ت808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم

©2019م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

وشاءت الأقدار على غير ترتيب أو رغبة أنْ تكون دراسته الجامعية لتحصيل درجة البكالوريوس في الجامعة الأردنيّة في تخصُّص علم الآثار (1990– 1994م)، وهو العلم المختصّ بدراسة تُراث الأُمم القديمة ومخلَّفاتهم وتأريخ مساهمتهم الإنسانيّة، أعقبَ ذلك عمله في البترا في مجال الآثار ولمدَّة عام واحدٍ (1995م). وأتاحَت مرحلة الطلب والعمل الذي تلاها في الاطلاع على حقبٍ تاريخية متنوّعة ومتعدِّدة، ومُعاينة تراث الأمم والشعوب السالفة، والتعرُّف على منجزاتهم العمرانية والحضارية.

وتعرَّف عن قربٍ بالحضارة النبطيَّة، وأدرك عظم الأنباط؛ القبيلة العربيّة البدويّة، الذين استطاعوا في العصر الهلينستي السيطرة على كلّ المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن، والانتقال بأحوالهم من قبيلة منشغلة بتربية الماشية والارتحال من مكان إلى آخرَ بحثًا عن المراعي، إلى تأسيس كيان سياسيّ ومملكة عربيّة واسعة عاصمتها البترا في القرن الثالث قبل الميلاد، واستطاعت خلال خمسة قرون من السيطرة على منطقة واسعة تمتدّ شمالًا إلى دمشق وتشمل معظم أرجاء الأردن الحالية وبعض الأجزاء الجنوبيّة من فلسطين حتى مدينة الحجر (مدائن صالح) في شمال الجزيرة العربيّة. مستفيدين من الموقع الجغرافي لعاصمتهم (البترا)، المتوسِّط بين مصر والشام والجزيرة العربيّة، في ازدهار تجارتهم، فأخذت قوافلهم تجوب الصحراء حاملة الذهب والفضة والحجارة الكريمة والبهارات والأخشاب من بلاد فارس وجنوب شبه الجزيرة العربيّة، وكذا البخور والمُرّ من حضرموت[2].

وقد وَصَفَ الجغرافيُّ سترابون الأنباط ، وهو قريب عَهْدٍ بهم؛ إذ توفّي بحدود سنة 21م . بأنهم ذوو سَعة وثراء ناجم عن التجارة، وكثرة الذهب والفضة في بلادهم، وأنّ الملك عندهم هو خادمٌ للشعب، وهم يسكنون في بيوت من الحجر والصّخر ، ومدنهم بدون أسوار لتوفر الأمن والسلام، وأرضهم غنيّة بالمزروعات والثمار[3].

وتعرَّف أيضًا على تراث الرُّومان في هذه المنطقة، وهم الذين تمكَّنوا من احتلال بلاد الشام عام 63 ق.م فخضعت المنطقة لحكمهم مدَّة أربعة قرون (63 ق.م . 324م)، وتشكَّل في عهدهم اتحاد المدن العشر (الديكابوليس: Decapolis) وأغلبها تقع في الأردن، انتهاءً بسيطرتهم على مملكة الأنباط والتي احتفظت باستقلالها حتى عام 106م عندما احتلتها قوّات الإمبراطور الرومانيّ تراجان (تراجانوس)[4].

من ذوي السلطان الأكبر، [تحقيق] مجموعة من الباحثين بإشراف أ. إبراهيم شبوح، القيروان للنشر، تونس 2006، 2016م،ج1، ص224.

(2) ينظر حول البترا وبناتها الأنباط: هاردنج، لانكستر: آثار الأردن، [ترجمة] سليمان الموسى، ط3، عمان: وزارة السياحة والآثار، 1982م، ص50، الحديدي، عدنان: الأردن وفلسطين "تاريخ وحضارة"، بيروت، عمّان: مؤسسة الرسالة، دار البشير، 1996م، ص70، مخلوف، لويس: الأردن "تاريخ وحضارة آثار"، عمّان، 1985م، ص39، 243–244، عباس، إحسان: تاريخ دولة الأنباط، عمان: دار الشروق، 1987م، ص22. وما بعدها، وانظر: التل، صفوان: الآثار العربيّة والإسلاميّة في الأردن، عمان: وزارة الشباب، 1988م، ص8، والمحيسن، زيدون: الحضارة النبطية، عمان: وزارة الثقافة، 2009م، ص21.

(3) سترابون (مؤرّخ وجغرافي إغريقي ت نحو 21م): جغرافيّة سترابون "الكتاب السادس عشر في وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية"، (ترجمه عن الإغريقيّة) محمد المبروك الدويب، بنغازي (ليبيا): جامعة قاريونس، 2006م، ص95–100.

(4) هاردنج، آثار الأردن ص52، الحديدي، الأردن وفلسطين، ص81.

التعرُّف بالمخطوطات وفهرستها:

كان المفصل الحقيقيّ في اتّجاهه نحو المخطوطات يتّصل بعمله لمدّة عامين (1995–1997م) باحثًا في مشروع الفهرس الشّامل للتُّراث العربيّ والإسلاميّ المخطوط؛ وهو مشروع جليل كانت مؤسَّسة آل البيت الملكيَّة (المجْمَع الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلاميّة . سابقًا) قد نهضت به وباشرته منذ عام 1981م، ووضعت الضوابط العلميَّة الناظمة له ولآلية تنفيذه؛ بهدف رصد وفهرسة مخطوطات التُّراث العربيّ والإسلاميّ المبعثرة في مكتبات العالم والموزَّعة في دور المخطوطات، وترتيب ما تضمَّنته هذه الفهارس[5] وَفقًا للعلوم والفنون والموضوعات المختلفة، وتوفير المعلومات الأساسيّة للباحثين عن هذه المخطوطات وأماكن وجودها، وهي فهارس مختلفة في الوضع والإعداد، ومُتباينة فيما بينها في الأسلوب والطريقة، والتوسُّع والاقتضاب، وبلُغات مختلفة: العربيّة، والإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة والإيطاليّة والإسبانيّة والروسيّة والبوسنيّة والبولنديّة والعثمانيّة الفارسيّة والأرديّة، وغيرها من اللغات التي كُتبت بها الفهارس.

وأنجزت المؤسَّسة من موضوعات الفهارس، ممَّا أصدرته في مجلَّدات ورقيّة: فهرس مخطوطات المصاحف ورسم المصاحف، وعلوم القرآن كالتفسير والقراءات والتجويد، وفهارس مخطوطات الحديث النبويّ الشريف وعلومه، ومخطوطات السيرة والمدائح النبويّة، والفقه وأصوله.

ولمَّا كانت عمليّة الفهرسة من أهمّ أوجه خدمة التُّراث المخطوط، ولمّ شتاته، فلم تكن عملًا فنّيًا أو روتينيًّا يقوم على تفريغ مادَّة الفهارس وترتيبها حَسْبُ، وإنّما كان بحثًا علميًّا صِرفًا، يقوم على التثبُّت من تفاصيل المخطوط والتأكُّد من كل المعلومات المتعلّقة به: عنوان الكتاب، واسم مُؤلِّفه، والموضوع الذي يتناوله، مع إيراد بعض الإفادات التي تُعين طالب المخطوط والباحث عنه كإثبات اسم الكتاب على الوجه الصحيح والتأكُّد من نسبة الكتاب لمُؤلِّفه، وذكر اسم ناسخه وتاريخ النسخ إنْ توفّر، وذكر ما عليه من سماعات وقراءات وقيود تملُّك وحيازة، ورقم الحفظ في المكتبة المعنيّة، وعدد أوراقه وكل ما يتصل بالمعلومات البيبلوغرافيّة.

لقد اتاحَت هذه الفرصة الاطلاع الواسع على المتبقي من التُّراث العربيّ والإسلاميّ في جميع حقول العلم والمعرفة، فأدرك تنوّع موضوعاته، وغنى موادّه، وأيضًا التعرُّف على المصادر والمراجع المساعدة التي تُعين على دقّة التثبُّت من اسم مُؤلِّف الأثر المخطوط وعنوان كتابه، ثمّ تأكيد النسبة لصاحبه، والبحث في جوامع البيبلوغرافيا المُستوعبة للمصنَّفات العربيّة، خاصّة كشف الظنون لحاجي خليفة (ت 1067هـ/ 1657م) وذيليه: كتاب إيضاح المكنون، وكتاب هديّة العارفين لإسماعيل باشا البغداديّ (ت 1339هـ/ 1920م)، وكتاب تاريخ الأدب العربيّ وملحقاته للمستشرق الألماني كارل بروكلمان، وكتاب تاريخ التُّراث العربيّ لفؤاد سزكين، وكتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهرانيّ (ت 1389هـ/ 1969م)، وكتاب أعيان الشيعة لمحسن الأمين (ت 1370هـ/ 1952م)، وكتاب الأعلام لخير الدين الزركليّ، ومعجم المُؤلِّفين لعمر رضا كحالة، وغيرها الكثير.

وتضمَّنت بعض فهارس المخطوطات –خاصّة فهارس المكتبات الأوروبيّة التي أعدَّها المستشرقون– نماذج من صور المخطوطات على اختلاف موضوعاتها وأزمانها، وتنوّع نماذجها وخطوطها. فتعرَّف عن قربٍ على هذا التُّراث وغناه ووفرة مادّته، وازدادت معرفته بالحقول العلميّة الكثيرة التي طرقها العرب، وتكوَّنت لدية حصيلة باتّجاهات التُّراث

(5) بلغ عدد الفهارس المتاحة في تلك الحِقبة نحو ألفي فهرس من مختلف المكتبات ودور المخطوطات في العالم، وقد أصدرت مؤسسة آل البيت دليلًا بهذه الفهارس التي قامت عليها الفهرسة، انظر: دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان، 1985م، والملحقان: الأول (1987م)، والثاني 1991م.

والكُتُب المكوِّنة للتراث العربيّ والإسلاميّ.

وكانت المحطَّة الثانية في المسيرة؛ الانتقال إلى مكتبة مؤسّسة آل البيت، مُكلَّفًا –على وجهٍ محدَّد– بتكشيف بعض الدوريات المهمّة وفهرسة مقالاتها، ووُجِّه للبدء بالمجلّات العلميّة المتخصّصة، فباشَرَ بمجلّة الحوليَّات التونسيّة، ومجلَّة العرب (دار اليمامة)، ومجلَّة المورد العراقيّة، وغيرها من المجلَّات العلميّة المحكَّمة الرصينة.

واقتضَت مهمة تكشيف الدوريات –بطبيعتها– قراءة المقالات بتمامها؛ قراءة واعية مستوعبة لاستخلاص موضوعها، والفهرسة على أساسه.

حمد الجاسر ومجلَّة العرب (دار اليمامة):

ولفتت نظره من بين تلك المجلّات "مجلَّة العرب"، وهي مجلَّة علمية رصينة، أسَّسها علَّامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر يرحمه الله (ت 2000م) في سنة 1966هـ/ 1386م ولا زالت مستمرَّة إلى الآن؛ اعتنت بتاريخ العرب وتُراثهم الفكريّ والعلميّ، فأثَّرت البحوث والدراسات التي نشرتها المجلَّة في تكوينه واتجاهه نحو حقول لم يعهدها؛ خاصّة علمي الجغرافية والأنساب.

لم تكن مادَّة الجغرافية التي تلقَّاها في المدرسة تستهويه أو تَسْترعي اهتمامه، بل كانت من أكثر المتطلَّبات التي يُبغضها؛ لجفاف مادَّتها، واشْتمالها على بياناتٍ إحصائيّة كثيرة، وتفصيلات علميَّة تجعلُها أقرب إلى العلوم البحتة، فلما عايَنَ المقالات المتَّصلة بالجغرافية . سواء أكانت علمًا أو فنًّا أو أدبًا – ممَّا اشتملت عليه مجلَّة العرب، واطَّلع على الدراسات الرصينة التي كتبها الشيخ الجاسر، تغيَّرت نظرته للجغرافيّة، وأصبح مُتعلِّقًا بها تعلُّقًا زائدًا عن الحدِّ، مُلاحقًا لكلّ الإحالات التي تضمَّنتها البحوث على المصادر الجغرافية والكتب الأوَّليَّة، مُستفيدًا من توفّر المصادر الجيّدة التي احتوتها مكتبة المؤسَّسة.

وكان لعلّامة الجزيرة الشّيخ حمد الجاسر، يرحمه الله، خدمات جليلة في نشر الكثير من النُّصوص الجغرافيّة وكتب الأنساب على صفحات مجلّته (العرب)، وله فضلٌ كبير في خدمة النُّصوص التُّراثيَّة المتعلّقة بالرّحلة العربيّة على وجه الخصوص، وعلى نحو أدقّ؛ ما يتَّصل منها بالجزيرة العربيّة والحجاز، وإليه يرجع فضل التعريف بالعديد من الرحلات والكتب الجغرافيّة وكتب منازل الحجّ وأراجيزها، وبذل على مدى نصف قرن من حياته جهودًا مُضنية في تعقّب التُّراث العربيّ والإسلاميّ المتناثر في مكتبات العالم وجمع شتاته، والعناية به تعريفًا وتحقيقًا ونقدًا ونشرًا، وقد شكَّل مجموع ما نشره من أدب الرحلة . كاملًا أو مجتزءًا . إضافة طيّبة للمكتبة الجغرافيّة العربيّة.

وأصبحت كثيرٌ من الأسئلة التي تَعْرض في ذهنه حول التراث الجغرافيّ مثار نقاش مع الأستاذ الدكتور محمد رشيد الفيل يرحمه الله، وهو أستاذ مُتخصّصٌ بالجغرافية التاريخيّة والبشريّة، وأحد أعلام هذا الحقل، وكان يُواظب على القدوم لمكتبة المؤسّسة بشكلٍ يومي، عاكفًا على مشروع يتّصل بالوحدة العربيّة، أخبرني وقتها أنّه يعمل عليه منذ سنوات طويلة، وأنّه مُحتاج لمثلها لكي يكتمل العمل ويتمّ، وما وافقه الأجَل على ذلك؛ فرحل يرحمه الله دون عارض صحيّ في حدود سنة 2003م.

الجغرافية التاريخيّة والكتب البُلدانيّة والرحلات

لقد أثَّرت مجلَّة العرب في توجيهه باندفاع نحو فرع من الجغرافية يتَّصل بأدب الرحلة، وقرأ كتب الجغرافية الكلاسيكية وكتب البلدان والمسالك، والمعاجم الجغرافية، وعكف على استخراج كل ما يتعلّق ببلاده الأردنيّة من هذه المصادر، مدفوعًا بما أُثير وقتها؛ ولأسبابٍ سياسيّة مرتبطة بموقف الأردنّ من حرب الخليج، من أنَّ الأرض الأردنية هي ممرّ وليست مستقرّ، وأنّه خال من مراكز حضريّة أو استيطانيّة إلَّا ما أُقيم على طريق الحجّ! ووجد دَفْعًا لهذه الشُّبهة من كتب الجغرافية، التي أظهرت عكس ما أُشيع، وأنها محلّ استيطان ونهضة حضاريّة وعلمية لقرون طويلة، وضمَّن نصوص الجغرافيّين التي وقف عليها في كتابٍ سمَّاه: "الأردن في موروث الجغرافيين والرحَّالة العرب"[6]، ثمّ قفَّاه –في ما بعد– بكتابٍ أشمل، استدرك فيه الكثير من النُّصوص الجغرافيّة، ونصوص دفاتر الطابو العثمانيّة التي نشرها الأستاذان محمّد عدنان البخيت ونوفان الحمود، وسمّاه: "مدوَّنة النُّصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه"[7]، وكلاهما مُرتَّب على حروف المعجم.

وتلازمًا مع إصدار هذين العَمَلَين، أعَدَّ مجموعة من البحوث المستندة أساسًا إلى المصادر الجغرافية، فأنجز بحثًا يرصد الرحلات العربيّة التي كانت وجهتها نحو عاصمة الدولة العثمانيّة القسطنطينيّة (إسطنبول)، وبيان الدوافع الشخصيّة لزيارتها[8]،كما أعدَّ بحثًا عن الفلاحة في اليمن بالاستناد إلى المصادر الجغرافيَّة[9].

وأُتيحت له فرصة مُجتزأة للتعامل مع نصٍّ تراثيّ مخطوط، بالمساعدة اليسيرة التي كلّفه بها أُستاذه إبراهيم شبُّوح، في أثناء عمله في تحقيق الجزء الثامن والعشرين من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ[10]، وهي مهمّة اقتصرت على مُراجعة وتدقيق بعض التراجم واستكمال بعض التخريجات، ومراقبة طباعة الحواشي.

وتعرَّف في آخر سنتين من القرن الماضي على الأستاذة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، مديرة مؤسَّسة "رابطة الشرق والغرب/ بروتا"، (East–West Nexus/Prota)، وكانت منشغلة في التهيئة والإعداد لمشروع علميّ كبير اسمه "عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين"؛ غايته إبراز رؤيا العرب والمسلمين في القرون الوسطى إلى العالم، وإظهار المناحي المختلفة للثقافات الإنسانيّة التي عرفها الرحَّالون والجغرافيُّون العرب وكتبوا عنها إفادات مطوَّلة تصف أوضاعها العمرانيّة والاجتماعيّة والدينيّة وتقاليد أهلها وعاداتهم. وكان من أهداف المشروع أيضًا خدمة التُّراث العربيّ الواسع المتعدِّد المواضيع والأبواب والمداخل وأوجه الإبداع من خلال نشر أُصوله وتحقيق مخطوطاته. وقد باشَرته الجيوسي بإعداد كتاب يحمل عنوان المشروع نفسه، وكلَّفت الدكتور عبدالله إبراهيم (باحث من العراق) لاستخراج مادَّته

(6) منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2002م.

(7) يقع الكتاب في مجلدين، وهو من منشورات اللجنة العُليا لكتابة تاريخ الأردن، مؤسسة آل البيت، عمان، 2007م.

(8) الرحلة إلى القسطنطينية: الأسباب والدوافع. مجلة العرب . الرياض. الجزء 11 . 12، السنة 41، الجماديان 1427هـ/ حزيران . تموز 2006م. ص878 . 895.

ويعكف حاليًا على إعداد كتاب بعنوان: إسطنبول في المخيلة العربية، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور جنكيز تومار/ أستاذ التاريخ بجامعة مرمرة، ونائب رئيس جامعة أحمد يسوي (Ahmet Yesevi) بكازاخستان، وسوف ينشر باللغتين العربية والتركية بمناسبة تخصيص العام 2019م: عام البرفسور فؤاد سيزكين لتاريخ العلوم الإسلامية.

(9) إشاراتٌ وهوامش حول الفِلاحة اليمنيَّة ومصادر دراستها، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار عمَّان: عمادة البحث العلميّ بالجامعة الأردنيّة، ووزارة التعليم العالي، مج 4، ع 1، 1431هـ/ 2010م.

(10) منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2004م.

من المصادر، بينما كُلِّف هو بتوفير كافة المصادر الجغرافية المطلوبة.

ومُوافقة لأحد غايات مشروع الجيوسي، اقترح عليها تحقيق رحلة الغزيّ المسمَّاة: "المطالع البدريّة في المنازل الرومية" لبدر الدين محمد بن محمد الغزّي العامريّ (ت 984هـ/ 1577م)، وهي من أقدم الرحلات التي عرَّفت بالديار الرُّوميَّة في العهد العثمانيّ، قيّد فيها الغزّيُّ خبرَ رحلته من دمشق إلى القُسْطنطينيّة سنة 936هـ/ 1530م للتظلُّم والشكوى بسبب عزله من وظيفة تدريس دون وجه حقّ، وكتبها بأسلوبٍ سجعي، ووصف فيها المنازل والمواضع التي مرّ بها في طريق الذهاب والإياب.

ومُؤلِّفها شيخ وأديبٌ دمشقيٌّ، تولّى التدريس، واشتهر بغزارة التأليف؛ ترك نحوًا من مائة وبضعة عشر مصنّفًا في موضوعات متنوّعة، واستند في تحقيقه للكتاب على ثلاث نسخ مخطوطة، كان من بينها مسودّة المُؤلِّف التي كتبها بخطّه، التي تحتفظ بأصلها مكتبة المُتحف البريطاني برقم (3626)، والنسخة الثانية محفوظة في مكتبة كوبرلو بإستانبول برقم (1390)، والثالثة محفوظة في أكاديمية العلماء الرُّوس برقم B799، وقد احتفظ مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنيّة بمصوّرات ميكروفيلميّة من هذه النسخ الثلاث[11].

ولمّا اكمل تحقيق العمل بحسب طاقته وإمكاناته، اقترحَت عليه الدكتوره الجيوسي أنْ يُنشر الكتاب ضمن مشروع ناشيء في الإمارات العربيّة، يرعاه الشاعر الإماراتيّ الأستاذ محمد أحمد السويديّ، ويهدف إلى تحقيق كتب الرّحلات ونشرها، فتم إصدار الكتاب[12]، وتحصَّل في عام 2004م على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة التي يمنحها المركز العربيّ للأدب الجغرافيّ/ أبو ظبي لأفضل النُّصوص المحقَّقة في هذا المجال.

وكان هذا الكتاب، والبحث المتعلّق بالرحلات العربية إلى القسطنطينية، مجالًا لأطروحة دكتوراه أُعدّت بجامعة فينسيا/ إيطاليا، وارتكزت على عمله في تحقيق التُّراث العربيّ والإسلاميّ في حقل الجغرافية التاريخيّة، بالاستناد بشكلٍ مُباشر على هذين العملين[13].

وكان ممَّا وجَّهته إليه مجلَّة العرب أيضًا، كتاب جغرافيّ عنوانه: "أوْضَح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك"، لمُؤلِّفٍ عثمانيّ اسمه: محمد بن علي البروسَويّ الشهير بابن سِبَاهي زَادَه (ت 997هـ/ 1589م)[14]، وهو معجم جغرافيٌّ رتَّب فيه المُؤلِّف أسماء المواضع على الحروف، واستند في تصنيفه على كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء صاحب حماة، وأضاف عليه بعض الزيادات التي توفَّرت في المصادر الجغرافيّة إلى العصر الذي عاش فيه المُؤلِّف، وفرغ من تصنيفه سنة 980هـ/ 1572م، وقدّمه هدية إلى السُّلطان مراد الثالث ابن السُّلطان سليم الثاني (953 . 1003هـ/ 1546 . 1595م). وكان الشيخ حمد الجاسر قد اطّلع على نسخةٍ من هذا الكتاب في إحدى مكتبات تركيا التي زارها قبل أكثر

(11) علمت بعد صدور الكتاب أن سبب تجمّع هذه النسخ المصورة في مركز الوثائق والمخطوطات كان نتيجة لعمل الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت ومشاركة الأستاذ الدكتور فايز القيسي في تحقيق الكتاب، وقد أنجزا العمل وتعطّل نشر الكتاب لمدّة. أفادني بهذه المعلومة الدكتور البخيت.

(12) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي: دار السويدي، 2004 م.

(13) Kamal Jaber, *Viaggi e Viaggiatori Arabi*, Ph.D. thesis, Università ca' Forscari di Venezia, 2014.

(14) بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006م، والطبعة الثانية عام 2008م.

من نصف قرن، ونوَّه بالكتاب في مقالٍ له[15]. كما وجَدَ تنويهًا بأهمية الكتاب وقيمته فيما كتبه كراتشكوفسكي[16] حوله، بِعَدِّهِ من الكتب المعجمية المتأخّرة التي قدَّمتْ التعريفات المقرّبة لعلم الأماكنيّة.

وفي إطار السعي لجمع نسخه، تم رصد أربع نسخ مخطوطة: منها نسختان مكتوبتان في حياة المُؤلِّف، واحدة في مكتبة نور عثمانية بإستانبول رقم (4693)، كُتبت في رجب سنة 984هـ/ 1576م، والثانية: من محفوظات مكتبة بودليان بأكسفورد (مجموعة بوكك) رقم (302)، وعنها صورة على ميكروفيلم محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية برقم (559). وكتبت سنة (998هـ/ 1590م)، ونسختان مكتوبتان بعد وفاة المُؤلِّف، هي: نسخة محفوظة في مكتبة السُّليمانيّة بإستانبول برقم (2039)، نسخت في سنة (1094هـ/ 1683م). ونسخة محفوظة في مكتبة راغب باشا بإستانبول برقم (1059)، نسخت سنة (1095هـ/ 1684م). وَحُصِلَ على نُسَخهِ –بمعونةٍ من الدكتوره الجيوسي– ومساعدة الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو؛ وكان وقتها مديرًا لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة (أرسيكا) بإستانبول، والأُستاذة تورنجان كوثر، الباحثة في المركز، والأستاذة الدكتورة كلير براندابور، أستاذة الأدب الإنجليزي في جامعة دوغاس في إستانبول.

وفي تعامله في تحقيق هذا الكتاب، سار مُحقّقه على طريقة لم تُعهد في نشر المعجميّات البلدانية، وهي الإحالة على مصادر جغرافية إضافية لكل مادَّة أوردها مُؤلِّف الكتاب، بما يسهل على المُطالع فيه الرجوع إلى مصادر أخرى، وتُوفِّر له معلومات مُستفيضة عن المادَّة موضع البحث، وهي الطريقة التي ينتهجها –في الغالب– محقّقو كتب التراجم في إحالتهم على مصادر إضافية للترجمة. خاصَّة وأنَّ أغلب كتب الجغرافيا قد طُبعت في نشراتٍ قديمة باعتناء المستشرقين، ولم تتضمّن –مع التقدير البالغ لأعمالهم وجهودهم– فهارس كاشفة، خاصّة أعمال المستشرق الألمانيّ فرديناند وستنفلد Wüstenfeld، والمستشرق الهولندي دي غويه M. J. De Goeje، صاحب سلسلة "مكتبة الجغرافيّين العَرَب" Bibliotheca Geographorum Arabicorum.

وقد عَرَضَت له في تحقيق هذا الكتاب جُملةٌ من المشاكل، أوَّلها يتعلَّق بضبط النَّصّ الذي أنتجته ثقافة المُؤلِّف والذي لم يكن من طبقة الجغرافيين، بل كان مدرِّسًا في العديد من مدارس إسطنبول وأدرنة، وتولّى في أواخر حياته القضاء في بغداد وأزمير، وتوفي وهو على منصب القضاء، فثقافة مؤلفه ابن سباهي زاده ومعارفه البعيدة عن حقل الجغرافيا، أوقعته في العديد من المغالط وتصحَّفت لديه بعض أسماء المواضع وأخذت موضعها الخاطئ من الترتيب على حروف المعجم، بما اقتضى محاولة التثبُّت من أسماء الأماكن والمواضع وضبطها حرفًا وشكلًا.

ومن مشاكله أيضًا؛ ما يتَّصل بالتعريف بمُؤلِّفه ابن سباهي زاده، الذي عزَّت المعلومات حوله في المصادر العربيّة، ووجد ما يسدّ النقص والخصاص في المصادر العثمانيّة، فوقعت الاستعانة بها وترجمة ما يمكن أنْ يقدّم تعريفًا جامعًا بابن سباهي زاده.

وفي أثناء بحثه عن نصٍّ جغرافيّ يصلح أنْ يتّخذه مشروعًا لنيل درجة علمية (الماجستير)، استشار الأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم، رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية، وهو من المعتنين بالتُّراث الجغرافيّ بحثًا وتحقيقًا،

(15) حمد الجاسر، حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم، مجلة العرب، السنة الثانية، أيّار 1968، الجزء الثامن، ص741–742.

(16) كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي. [ترجمة] صلاح الدِّين عثمان، القاهرة: جامعة الدول العربية، 1963م، ج2، ص609.

والمختصّ بتراث العالم الجغرافي أبي عبيد البكري في كتابيه المسالك والممالك ومعجم ما استعجم، فوجَّهه لمخطوطٍ جغرافي كان الغنيم قد اطَّلع عليه في مكتبة البودليان بأكسفورد، عنوانه: "غرائب الفنون ومُلَح العيون" لمُؤلِّفٍ مجهول، فاستحضر هذه النسخة وكانت ناقصة؛ إذ تشتمل على أوّل مقالتين من أصل خمس، هما: المقالة الأولى في الفلك بتمامها وغالب المقالة الثانية وهي في الجغرافيا، ويقع في آخرها بترٌ، ووجَدَ الكتاب حقيقًا بالدراسة والتحقيق، وتكمن أهميته في كونه يمثّل بدايات التأليف الموسوعيّ عند العرب، بما تضمّنه من مواضيع متنوّعة، حيث توسّعت دائرة المعارف فيه من الفلك إلى الجغرافيا وعالم الحيوان والنبات والصيد والقَنْص، وتفرَّد أيضًا بما اشتمل عليه من رسومات وخرائط.

كانت النية مُتَّجهة لدراسة المقالة الثانية من الكتاب؛ وهي المتّصلة بالجانب الجغرافي، تبعًا لاهتمامات الباحث الشخصيّة، ولقيمة مادَّة الكتاب الجغرافية خاصّة ما قدَّمه عن جزيرة تنيس ومدينة المهدية، وجودة الخرائط والرسوم التي رسمها المُؤلِّف؛ ومنها خريطة العالم، وخريطة جزر البحر الأبيض المتوسط، وغيرهما، غير أنَّ اللجنة العلميّة التي تولَّت مناقشة المشروع ارتأت أنْ تتم دراسة وتحقيق الكتاب كاملاً بمقالاته الخمس، فاضطرّ؛ لأجل ذلك، بالنزول عند رغبتهم، والتعامل مع مادَّة لا تُوافق اهتماماته أو رغبته، وهي التي تضمنتها المقالة الأولى وتتعلق بالفلك، والمقالات الثلاث الأخيرة المشتملة على: الخيل، والجمال، والصيد والقنص، وهذه المقالات الثلاث الأخيرة مُكتنزة بمادَّة لغوية وبالكثير من الأشعار.

وقد حقَّقَ الكتاب، بعد أنْ عثر على أربع نسخ أخرى؛ هي: نسخة محفوظة بمكتبة الأسد في دمشق، وهي نسخة تامّة النص تقريبًا، تضمّ المقالات الخمس؛ سقط منها جزء من المقالة الأولى، وقطعة محفوظة بمكتبة الأمبروزيانا بمدينة ميلانو، رقمها (CXCV)، وهي ضمن مجموع (الورقة 2–67)، ونسختان محفوظتان بدار الكتب والوثائق الوطنية بالقاهرة. وقدَّم له بدراسة موسّعة حاول فيها تحديد زمن المُؤلِّف، وقدَّر بأنه من أهل القرن السّابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلادي، وحاول التعريف بموطن المُؤلِّف ومذهبه وما يمكن أنْ يُستمدّ من كتابه من معلومات عنه، واستقصى مصادره ومناجمه التي استقى منها مادَّة الكتاب(17).

ومشكلات هذا الكتاب كثيرة؛ فالنسخ تختلف فيما بينهما في عدد المقالات، وتتباين في رسم الكثير من أسماء المواضع، وتحفل بالأخطاء الإملائية التي تسبب بها النُّسَّاخ، كما أنّ المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في وضع كتابه، ولم يصرح بها، كثيرة تبعًا لتعدُّد الموضوعات التي تناولها، وتعذر الوصول لاسم مؤلّفه، وقد ظهر للباحث أن المؤلف –وهو من الإسماعيليّة– تقصد إخفاء شخصيته لأسباب مذهبية.

ومن مشاكله؛ كثرة الأبيات الشعريّة التي استشهد بها المؤلف ونسبها إلى أصحابها، خاصة في المقالات الثلاث الأخيرة، مع عدم معرفة الباحث بضبط الشعر وتحديد أوزانه، وهي أشعار لم تتضمنها دواوين أصحابها، ومنها أبيات نسبها إلى شاعر مغمور اسمه محمد بن قاسم التونسيّ، قالها في هجاء أبي يزيد الخارجيّ.

وبين يديه الآن؛ ممَّا يعكف على إنجازه ويتعلّق بالجغرافية؛ ثلاثة نصوص رحلاتية، هي:

1. زُبْدَةُ الآثار فيما وقَعَ لجامعِه في الإقامَة والأسْفار لمحمد بن أحمد بن محمد بن جمال الدين سُكَيكر الحَنَفيّ الدِّمشقيّ الحَلَبيّ (ت 987هـ/ 1579م). ويشتمل على أخبار رحلته إلى إسطنبول سنة 975هـ/ 1568م.

(17) منشورات دار صادر، بيروت، 2011م.

2. تَذْكِرة قُطب الدين محمد بن أحمد بن محمد النهروالي المكي الحنفي (ت 990هـ/ 1582م). وهي موسوعة علمية تشتمل على موضوعاتٍ كثيرة لا يجمعها رابط، منها: إفادات تاريخيّة متنوّعة، خاصّة بعض الحوادث التي وقعت بمكّة في زمنه، وتفاصيل رحلاته وأسفاره التي قام بها المُؤلِّف فيما بين مكّة والمدينة المنوَّرة، وبلاد الروم، ومصر. فاشتملت التذكرة على رحلاته الستّ إلى المدينة المنوّرة في السنوات 959هـ/ 1552م، 964هـ/ 1557م، 965هـ/ 1558م، 971هـ/ 1564م، 976هـ/ 1568م، 980هـ/ 1572م. واحتوت أيضًا على تفاصيل رحلته إلى البلاد العثمانيّة سنة 965هـ/ 1557م، وهي التي سمّاها: "الفوائد السَّنِيّة في الرحلة المدنيّة والروميّة"، إضافة لما اشتملت عليه التذكرة من نقول ونصوصٍ طويلة ومقتطفات عديدة من بعض الكتب في موضوعات متنوّعة.

3. رحلة الشيخ الجوديّ؛ مُفتي القيروان إلى الحجّ سنة 1331هـ/ 1913م، وهي تمثّل آخر نماذج الرحلات التقليديّة قبل دخول عهد السيارات وشيوع استخدامها في التنقل والسفر، وقيمته في اهتمام الشيخ الجودي بلقاء العلماء في الحجاز والحرمين الشريفين، والتردد على المكتبات وتقييد أسماء الكتب فيها، وتوثيق بعض محتوياتها[18].

تحقيق النُّصوص التاريخيّة:

وتعامل في تحقيق النُّصوص التاريخية المباشرة مع مصدرين على غاية من الأهمية، هما: "العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لولي الدين ابن خلدون[19]، وكتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" لابن العديم العقيليّ[20].

أمّا الكتاب الأول، فكانت مُساهمته فيه ضمن المشروع الكبير الذي تبنَّاهُ العلامة التونسيّ إبراهيم شبُّوح، والذي أسند إليه شرف المشاركة في تحقيق الجزأين الثامن والرابع عشر من تاريخ ابن خلدون، بحسب تجزئة النسخة الخلدونيّة المهداة للملك الظاهر برقوق "الظاهرية"، واشترك في تحقيقهما مع الدكتور إحسان ذنون الثامري، الباحث العراقيّ والمحقّق الملتزم بقواعد التحقيق وصاحب الأعمال الجليلة، إلى جانب أسماء عربيّة وعالمية تتابَعت على تحقيق بقية الكتاب، موزَّعين على بعض الأقطار التي اتصل بها ابن خلدون، باعتباره إرثًا إنسانيًا يتشارك الجميع في خدمته.

وقد وجد في التعامل مع النصّ الخلدونيّ الفائدة والمتعة، لأهمية مادَّته، ومكانة مُؤلِّفه، فمن وجهٍ: اطَّلع على الكثير من حوامل النَّصّ الخلدونيّ، ليس فقط تلك النُّسَخ التي وقع اعتمادها في إخراج هذه النشرة، بل عايَن عشرات النُّسَخ المخطوطة الأخرى التي توفَّرت لدى الأستاذ شبوح (المشرف على إخراج النشرة)، وجرى استبعاد بعضها بعد أنْ درسها شبُّوح وعلَّق عليها وشجَّر أنسابها، وعَرف تناسلها ومدى أهميتها من عدمه، واقتصر من بينها على اتّخاذ النُّسَخ الموثوقة فقط، وهي التي كانت بين يدي ابن خلدون، وعليها علائقه وخطوطه وإصلاحاته وإلحاقاته بخطِّ يده، وأغلبها مما صنَّع مشجرات أنسابها بيده أيضًا، فامتازَت هذه النشرة باستنادها على أصحّ الأصول الخطية وأوثقها.

لقد أفاد من فحص مخطوطات ابن خلدون في التعرُّف على جوانب من طريقة المُؤلِّف في صياغة الخبر وسرد التاريخ وكتابته، ثم التعديل عليه في فترات لاحقة، وكيفيّة التعامل مع الأحداث التاريخية وحوصلتها وفقًا لغايته الأولى في تتبُّع المفاصل الرئيسية لقيام الكيانات السياسيّة وزوالها، وكيفية وقوع ذلك في الحالتين، وتبيَّن له بأنَّ قيمة تاريخ

(18) قيد الطبع في مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

(19) الجزء الثامن، تونس: القيروان للنشر، 2008م، والجزء الرابع عشر؛ القيروان للنشر، 2011م.

(20) منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2016م.

ابن خلدون لم تقتصر على التدوين التاريخيّ لحقبٍ سابقة وصلتنا تفصيلات موسَّعة عنها في مصادر مباشرة ومحلية، وإنَّما في التصوُّر الذي قدَّمه لعلاقة التلاقي والتنافر والتنازع بين الكيانات السياسية على الأرض، وما ينشأ عن ذلك من سُلطات حاكمة وزوال أخرى(21).

وقد تأكَّدت لديه هذه الأنظار في أثناء مُشاركته المباشرة في تحقيق الجزأين الثامن والرابع عشر من تاريخ ابن خلدون؛ وكلاهما طريف في مادَّته ومنهج تأليفه، فالجزء الثامن؛ الذي خصّصه ابنُ خَلْدون للحديث عن "ملوك العَجَم القائمين بالدّعوة العبَّاسيّة والمُسْتبدّين على الخُلفاء"، والذين تغلَّبوا –فعليًّا– على بقعةٍ واسعة من العالم الإسلاميّ ولعدّة قرون بوجود خلافة كبرى ليس لها من الأمر سوى الاسم دون الرسم؛ في مِصْر وبلاد الشَّام والمَشْرق الإسلاميّ، فلم يكن همّ ابن خلدون مُنصرفًا للتأريخ للطولونيين أو الإخشيديين أو بني الصفار أو الساماني‌ين أو أي أسرة حاكمة أخرى، وإنما كانت عينه الفاحصة ساهمةٌ لمتابعة كيفية نشوء هذه الكيانات والظروف التي أعانَت على قيامها، ومُراقبة أطوارها في الجيل الثاني منها والأجيال التالية، وما يتخلَّل ذلك من حالات الصراع والنزاع داخليًا وخارجيًا حتى سقوط حكمها، تأكيدًا لنظرياته السياسية والفكرية العديدة التي تضمّنتها مُقدّمته في كيفية نشوء الدول وزوالها وما يعرض لها في أثناء ذلك.

أما الجزء الرابع عشر فقد تمَّم فيه المُؤلِّف كلامه على القبائل البربرية، وفصَّل فيه أخبار بعض الأسر البربرية التي حكمت أجزاء متفرّقة من المغرب، مثل الدولة المرينية والحفصية وأسرة بني عبد الواد، وتشجير أنسابها، والعلاقات القائمة فيما بين كل أسرة منها، وفي المجال الخارجي؛ حلفًا أو منازعة أو ثأرًا، وانتقالهم بين المواطن بالهجرات أو الجلاء.

وقفَّى ابن خلدون هذا الجزء الأخير أيضًا بخاتمة جامعة تتَّصل بسيرته الذاتية ورحلاته، أو ما سمَّاه: "التَّعريف بابن خَلْدُون مُؤلِّف الكتابِ ورحْلته غَربًا وشَرْقًا"، وضمَّن هذا الجزء أيضًا التأريخ للكثير من الحوادث التي كان شاهدًا عليها أو مُساهمًا في أحداثها بشكل مباشر.

أمَّا اهتمامه بالأثر التاريخيّ الهام "بغية الطلب"، لابن العديم، فقد عمد إلى تحقيقه برغبةٍ أكيدة واندفاع كبير لإيمانه بأهمية النصّ العديمي وقيمته، وكان قد تعرَّف بشكل كبير بالمؤرخ الحلبي ابن العديم، على نحو وثيق، في أثناء إعداده لدراسته الموسَّعة عن جُنْدِ قِنّسرين، ومُعالجته لكافّة مناحي الحياة في هذا الإقليم، وقبل ذلك كان قد استفاد من كتابه ورجع إليه، غير أنَّ تقدير مكانته الكبيرة لم تتهيَّأ له إلا بعد الاطّلاع على كافة المصادر المعنية بذات الموضوع، لتتَّضح له القيمة الكبيرة لعمل ابن العديم، وبدأت تترسَّخ في ذهنه ضرورة العمل على تحقيق ما وصلنا من عمله وإخراجه على نحو يُعيد الاعتبار إليه كمصدرٍ أصيل وهام في دراستنا لمنطقة شمال بلاد الشام خلال القرون السبعة الهجرية الأولى.

يمتاز كتاب ابن العديم بتعدُّد الموضوعات والحقول التي يُمكن أنْ يُحسب عليها، فهو كتاب بلداني مختص بإقليم حلب جغرافيًا وبشريًا، أفرد المجلّد الأوّل للجانب الجغرافيّ وما يتبع لحلب من مدن وقرى، وما في إقليمها من معالم جغرافية، بينما خصَّص بقية الأجزاء للتعريف برجال المملكة على مرِّ العصور حتى زمنه، وقد تضمَّن المتبقّي من الكتاب الترجمة لـ 2098 عَلَم، تتفاوت تراجمهم في الطول والقصر. وحفلت تراجمه بمادَّة غنية في العديد من الحقول:

(21) ابن خلدون، العبر ج5، ب (تقديم شبوح لهذا الجزء).

في التاريخ، والأدب: منثوره ومنظومه، والعلوم الحديثية، والأحوال الاجتماعيّة والاقتصاديّة في حلب وعموم بلاد الشام، وغير ذلك مما تضمَّنه الكتاب.

ولم يقتصر في عمله على تحقيق القسم الذي وصلنا من أصل الكتاب، بل عمد الباحث إلى التقاط بعض التراجم التي ضاعَت من الكتاب وأوردها بعض المؤرِّخين المعاصرين لابن العديم أو من اللَّاحقين عليه؛ ممَّن نقل عن كتابه قبل الضياع، وتجمَّعت لديه من هذه النُّصوص الملتقطة ما يغطي 149 ترجمة استدرك بها على الكتاب، وأفردها في مجلَّد آخر الكتاب بعنوان "الملتقط من الضائع".

وقد حظي الجزء الأول من كتاب "بغية الطلب" باعتناء الباحث على نحو بالغ؛ تمامًا مثلما فعل مع كتاب ابن سباهي زاده، فعرَّف بالمواضع المذكورة فيه تعريفًا مُقتضبًا بينما توسَّع في الإحالة على مصادر جَغرافيّة ورحلاتيّة أُخرى، بما يُحقِّق الفائدة لمن يبحث في جَغرافيّة المدن الواقعة ضمن المملكة الحلبيّة، بما فيها مدينة حلب؛ الغنيّة عن التعريف.

خاتمة:

هذا غاية الجهد، ومَبْلغ الطاقة؛ والمخطوطات على وجه العموم هي تراث إنسانيٌّ بصرف النظر عن انتسابه للعرب والمسلمين أو لغيرهم من الأمم، ويتوجّب على كل الأجيال المحافظة على موروثها المادي، مثلما يتوجب المحافظة على الآثار والشواهد العمرانية.

ويُدرك صاحبنا بإيمانٍ عميق، أنَّ التُّراث العربيّ والإسلاميّ، بما فيه التُّراث الجغرافي الذي استهواه وتخصَّص فيه، هو حلقة وصل بين الماضي والحاضر، وطريق ممهّد للمُستقبل، وأن مساهمتنا الحضارية في إعمار الكون مُبتناة على إرث طويل وممتد من الأعمال والجهود العلمية، مما تؤكّده نظريات الآثاريين وأعرافهم من أنَّ البناء على طبقات؛ كل أُمة تساهم بما لديها في عملية تراكمية، وبتجاوزنا عن منجزات العرب الأقدمين في مجال العلوم؛ بالإغفال أو الإنكار، تحصل فجوة كبيرة مؤداها ضياع الأساس الذي نستند عليه.

والمخطوطات هي الحواضن الحافظة لتراثنا العلمي في كافة المجالات، وهي الشاهد الحقيقي على أثر الإنسان العربيّ ومساهمته الحضارية في نشأة العلوم وتطوّرها.

وبهذا؛ يتأكد وجوب الاعتناء بالتُّراث العربيّ والإسلاميّ المخطوط بحثًا ودراسة وتحقيقًا، والكشف عن مواطنه وحواضنه، والتعريف بنوادره، والسعي لإخراج نصوصه محقّقةً وفق الضوابط العلميّة المعروفة لدى الكافة. وهو في جانب آخر: عملية ردّ اعتبار للمُؤلِّف العربيّ والمسلم، وتقدير لتراثه وإنجازه.

وقد أدَّى طول الصحبة بالتُّراث الجغرافي، ومُعاناة البحث فيه، إلى انبثاق بعض المشاريع البحثية الطويلة المدى التي يعكف على إنجازها، ويختلس الوقت لموالاتها، منها: مشروع "الجامع لنصوصِ الجغرافيّين والرَّحّالة العرب والمسلمين عن العالم"، وغايته جمع كافّة نصوص الجغرافيين والرّحالة العرب والمسلمين، التي كتبوها عن المواضع والأماكن والبُلدان في كافة أصقاع المعمورة، ممّا زاروه واطّلعوا عليه فكتبوا عنه معاينةً ومشاهدة، أو ما اتَّصل بعلْمهم قراءة أو سماعًا، وهي مادَّة غنيّة ومُتناثرة في كتبهم ومدوَّناتهم، وتشتمل على كل ما يحمل اسمًا من الأماكن على المعمورة: الأقاليم والنواحي والولايات وما يندرج ضمنها من البُلْدان والمدن والقرى والضياع والجبال والأودية والصحارى (المفاوز) والسباخ والتلال والسهول، ومواطن الماء: البحار والأنهار والبحيرات والموانئ (المراسي) والغُدْران والجزائر والعيون والآبار والبرك والينابيع، والمرافق العامة في داخل المدن وخارجها: الجوامع والزوايا والتكايا والخوانق والأربطة

والخانات، والأضرحة والمقامات والقبور والمقابر المشهورة، والكنائس والأديرة والبيع والعُمر والمحالّ والأسواق وأبواب المدن المشهورة والقصور والقلاع والحصون والأبراج والخنادق.

وكذا مشروع "التُّراث العربيّ الجغرافي: مناجمه ومخطوطاته وأماكن وجوده"، الذي يستدرك فيه على العمل الجليل الذي أنجزه –قبل نحو قرن– المستشرق أغناطيوس كراتشكوفسكي، ويحاول فيه فهرسة مخطوطات الجغرافية والتعريف بها وبأماكن وجودها.

An Incomplete Experience in the Service of Traditional Texts. Indexing, Study and Editing

Almahdi Eid AlRawadieh*

ABSTRACT

The heritage of Arabic and Islamic manuscripts is a treasure of the ummah, forming a universal heritage of human experiences throughout the ages. Reviewing the efforts of heritage researchers provides lessons drawn from their experiences. Their experiences can help motivate researchers to concern themselves with heritage manuscripts and increase their efforts to study, edit and catalogue them.

This paper monitors the efforts of one scholar interested in the heritage of Arabic and Islamic manuscripts, who has worked for a long time cataloguing Arabic and Islamic manuscripts and edited a range of historical and geographical sources that had not been published before. He produced a series of studies related to Arabic and Islamic heritage. This paper also presents the difficulties that have hindered his career.

Keywords: Arabic and Islamic heritage, manuscripts, editing of manuscripts.

* Center for Strategic Studies, The University of Jordan. Received on 27/5/2019 and accepted for publication on 7/10/2019.

REFERENCES

Abbas, Ihsan. (1987); *History of the Nabataean State*, Dar Al-Shorouk: Amman.

al- Ghazi, bader al Din, Mohammed bin Mohammed. (2004); *al-Matali al-Badriyah fi al-manazil al-Rumiyah,* by: al Mahdi al rawadieh, dar alsuwaidi, arab institute for research and publishing.

al-Hadedi, Adnan. (1996); *Jordan and Palestine, "History and Civilization"*, Al-Resala Foundation, Dar Al-Bashir: Beirut, Amman.

Harding, Lankester. (1982); *Antiquities of Jordan*, (Translation) Suleiman Al-Mousa, i 3, Ministry of Tourism and Antiquities: Amman.

Ibn al-Adeem, Kamal al-Din Omar bin Ahmed bin Hebatullah Aqili Halabi (d. 660 AH / 1262 AD). (2016); *Bughyat Altalab fi Tarikh Halab,* (Study and edits by Al Mehdi Alrawadieh), *(12 volumes),* Furqan Foundation for Islamic Heritage: London.

Ibn Khaldūn, ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad (died: 808/1406); *Kitāb al-ʻibar wa-dīwān al-mubtadaʼ wa-al-khabar fī ayyām al-ʻArab wa-al-ʻAjam wa-al-Barbar wa-man ʻāṣarahum min dhawī al-sulṭān al-akbar,* (Study and edits by a group of researchers under the supervision of a. Ibrahim Shabouh, Kairouan Publishing: Tunisia (2006-2016)

Ibn Sabahi Zadeh, Muhammad ibn Ali al-Brosawi (d. 997 AH / 1589 AD) (2006); *Awdah al-masalik ila marifat al-buldan wa-al-mamalik,* by: Al Mehdi Alrawadieh, Dar al gharb al islami: Beirut.

Jaber, Kamal. (2014) *Viaggi e Viaggiatori Arabi*, Ph.D. thesis, Università ca' Forscari di Venezia.

al-Jasser, Hamad (1968); on our scattered heritage in the libraries of the world, *Arab magazine*, the second year, c 8.

Kratschkovsky, Ignatius Yulianovich. (1963*); History of Arab Geographical Literature*. Salah al-Din Othman, University Arab countries: Cairo.

Makhlouf, Louis. (1985); *Jordan "History and Civilization of Antiquities"*, Amman.

Muhaisen, Zaidoun. (2009); *Nabataean Civilization*, Ministry of Culture: Oman.

al Rawadieh, al Mahdi. (2002); *Jordan in the Legacy of Arab Geographers and Travelers*, Publications of the Jordanian Ministry of Culture: Amman.

al Rawadieh, al Mahdi. (2007); *Code of Geographical Texts of Jordan's Cities and Villages*, Publications of the Higher Committee for Writing the History of Jordan, Al-Bayt Foundation: Amman.

al Rawadieh, al Mahdi i. (2007); The Journey to Constantinople, Causes and Motives, *Arab Journal of Riyadh*. Vol 11-12, Year 41, Jammadian 1427 AH / July 2006. Pp. 878--895.

al Rawadieh, Al Mahdi (2010); References and Margins on Yemeni Agriculture and Sources of study, *Jordan Journal of History and Archeology*, Deanship of Scientific Research at the University of Jordan: and the Ministry of Higher Education, Amman, vol 4, p 1.
Beirut- Abu dhabi.

al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak (d. 764/1362).; *al-Wāfī bi-al-wafayāt,* vol. 28, edits by Ibrahim Shabouh, German Institute for Oriental Research, Bayrūt, 2004.

al- Ṣafadī, Salah al Din, Khalil Ibn Aybak ibn ʻAbdillah. (1962); *al-Wafi bi 'lwafayat*. Vol 28, by: ibrahem chabouh, Franz Steiner Stuttgart: Beirut.

Strabon (Greek historian and geographer about 21 AD). (2006); *Geography of Strabon, "The Sixteenth Book in Describing Mesopotamia, Phenicia, and the Arabian Peninsula*", (translated from Greek) by Mohammed Mabrouk Al-Duwaib, University of Garyounis: Benghazi (Libya).

al-Tal, Safwan. (1988); *Arab and Islamic Antiquities in Jordan*, Ministry of Youth: Amman.

The Royal Society for the Research of Islamic Civilization. (1985), *Directory of Manuscripts Indexes in the Royal Society for the Research of Islamic Civilization*, Amman, and the Supplements: First and Second 1987 and Second 1991.

Unknown (from the seventh century AH - thought). (2011); *The Oddity of the Arts and the Salt of the Eyes* (A Study and Investigation) Mahdi Rawadia, Dar Sadir: Beirut.

Unknown author,(ca. Seventh Century) (2011); *Garaib al-funun wa-mulah al-ʻuyun*, by: al Mahdi al rawadieh, Dar sader: Beiru.